زبير بلال إسماعيل

اسماء في نصوص قديمة

تكشف لنا التحريات الأثرية يوماً بعد يوم عن معلومات ذات أهمية بالغة تعيننا في معرفة جوانب عديدة من التاريخ القديم للشرق الأدنى بما في ذلك منطقة كردستان . وتنفرد المدونات بأهمية خاصة من بين المكتشفات الأثرية ؛ ذلك لأنها تعتبر من الوثائق والمصادر التي يمكن الركون اليها لمعرفة اشياء كثيرة من مفردات الحياة اليومية للمجتمعات القديمة . وقد وجد المنقبون آلافاً مؤلفة من رقم الطين المدونة في بقايا المدن القديمة فضلاً عن المنحوتات والمسلات والتحف والأختام التي تحمل أيضاً كتابات ومعلومات . إن تلك الكتابات تؤشر معالم الحياة السياسية والأقتصادية والأجتماعية لفترات معينة من التاريخ القديم . وقد أنارت الالواح الطينية الأشورية المدونة بالخط المسماري والمكتشفة في المدن والعواصم الواقعة في بلاد آشور او خارجها مثل (كبدوكيا [1]) المستعمرة الآشورية في بلاد الأناضول ، الطريق لمعرفة أمور كثيرة من التاريخ القديم لمنطقة كردستان كما سيتبين ذلك فيما بعد .

وقد قامت الآنسة نينل ب . يانكوفسكا (ولدت سنة 1925) تلميذة الأثري دياكونوف عالم الآشوريات والساميات والسومريات الشهير وصاحب كتاب (تطور الأوضاع الزراعية في بلاد آشور) (الينينغراد 1949) وتاريخ يذيا (1956) المترجم الى الكردية ، والمصادر الآشورية والبابلية لتاريخ أورارتو (1951) وغيرها من المؤلفات ومنها مايتعلق بتاريخ العراق القديم ، وقد عملت معه أخيراً كمساعدة أمين متحف ، وقد عهد اليها منذ سنة 1959 بالأشراف لوحدها على مجموعة الكتابات المسمارية فيه . وقد ألفت جملة من نصوص المطبوعات التي تخص وثائق (نوزي) وبلاد آشور وكبدوكيا ، وتعتبر واحدة من أحسن النظريين بين مؤرخي السوفيت للشرق القديم في الجيل الحديث[2] . وقد أعاننا مقالها القديم (بعض القضايا الأقتصادية في إمبراطورية آشور) فيما نحن بصدده . وقد قام علماء من مختلف الدول وبينهم علماء من المانيا وأمريكا بقراءة الكثير من رقم الطين المدونة وبناء دراسات تاريخية على ضوئها ، من أمثال : أدوارد كييرا وفابغر وسبايزرو اي . ر . لجمان وكوشيكر وغيرهم . ولابد هنا من الأستعانة ببعض تلك الرقم أو الألواح الآشورية التي قرأها ودرسها المختصون لمعرفة ماضي بعض الأمكنة والبقاع والمدن ومايتصل بسكانها وأعمالهم اليومية ونشاطاتهم الأقتصادية . ويعود الفضل في معرفة كل ذلك الى حقل التبادل التجاري الذي كان يعتمد على أحوال الأنتاج في البلدان وعلى درجة وطبيعة تعاونها في الميدان الأقتصادي . ومنذ بداية الألف الثالث قبل الميلاد كان سكان البلاد الخاضعة لآشور يدفعون مايشبه الجزية فضلاً عن المنهوبات التي يتم الحصول عليها عن طريق حملات الفتح . إن الجزية في هذه الفترة كانت تقدم في كل وقت يصبح فيه الغزو الآشوري تهديداً مباشراً ، وكانت في تركيبها بعض المنهوبات . وتختلف هذه الأخيرة تماماً عن الجزية السنوية التي تفرض أحياناً على إحدى المناطق ، والتي يمكن تمييزها عن المنهوبات (منذ القرن الثامن قبل الميلاد) لقد وجدت علاقات تجارية متينة بين أقطار الشرق الأدنى في أواخر الألف الثاني وأوائل الألف الأول قبل الميلاد وهو الوقت الذي ظهرت فيه الأمبراطورية الآشورية . ففي بداية الألف الثاني ق. م نشطت الفعاليات التجارية للمستعمرات والتي لعب دور النقود فيها كل من الفضة أولاً والذهب والنحاس بدرجة أقل . ولقد دونت أداة الدفع هذه (الذهب والفضة) في

السجلات الآشورية بالشكل الذي تم الحصول به عليها في الخزائن المحلية لكثير من المناطق ومن بينها [5] :

1 – شوبريا مع مناطق مجاورة
2 – مصاصر : وفي خزائن القصر اكثر من طن من الذهب واكثر من خمسة اطنان من الفضة . وفي خزائن المعابد كيلو من الذهب وحوالي خمسة اطنان من الفضة .
3 – كلزان سوية مع بعض المناطق المجاورة ومنها جنشكيا الواقعة على نهر بوهتان احد روافد دجلة .
4 – زاموا : وقد دفعت 75 كيلو غراماً من الفضة سوية مع بعض الأقطار المجاورة . ولنعين الآن المواقع الحالية للمناطق المذكورة .

1 – **شوبريا** : كانت ولاية تقع الى الشمال من دياربكر الحالية
2 – **مصاصر** : إقليم كان يقع في الزاوية الشمالية الشرقية من البلاد الآشورية الى الغرب من ممر (كيله شين) في منطقة سيده كان ، وكان يضم عدة مدن عدا العاصمة مصاصر ، وإنه كان يمتد الى رواندوز . وقد جاء وصف فتح مصاصر من قبل سرجون الآشوري في نص طويل ، وعثر على منحوتة آشورية تصف صفات هذه المدينة.[6] إن القرية الحديثة المسماة (مجيسر) مصحفة على اللغة الكردية وهو أقرب في ذلك الى اللغة الآشورية. وقد وجدت تماثيل غريبة في قرية (مجيسر) ويحتمل انها من زمن مسلتي طوبزاوه وكيله شين . وقد نصبت مسلة طوبزاوه على الطريق العام بين سيدة كان وممر كيله شين ، وقد كتبت بالخط المسماري بنصين باللغة الآشورية والأورارتية . وقد ورد فيها إسم الملك الأورارتي (روسا ملك بلاد اورارتو المعاصر لسرجون الآشوري (721 – 705 ق . م) . وكان (أرزانا) ملك إقليم عرف باسم مصاصر كانت عاصمته بلدة باسم مصاصر أيضاً . وتذكر المسلة مساعدة الملك الأورارتي (روسا) لحليفه (أرزانا) ضد الآشوريين .

أمامسلة كيله شين التي تقع في وادي كيله شين على بعد (200 م) من الحدود ، فهي نقشت أيضاً بالخط المسماري بلغتين هما اللغة الأورارتية والآشورية . وتدل الكتابة على أن الملك وإبنه (منوا) على الحامية الآشورية وإقتطاع أجزاء من الأمبراطورية الآشورية في فترة ضعف لها ، وهي منطقة مصاصر ونائيري وضمها الى مملكته ، ولعل هذا الملك الأورارتي كان معاصراً للملك الآشوري شمش ادد الخامس (٨٤٨ ـ ٨١٠ ق . م) الذي كان حكمه فترة ضعف في الأمبراطورية الآشورية .[7] وكانت مصاصر غنية بالذهب .

3 – **كلزان** : وكانت تقع الى شرق مصاصر ، أي الى الغرب من بحيرة أورميا
4 – **زاموا** : هي منطقة السليمانية وشهرزور . وقد أطلق عليها الآشوريون الاسم المذكور ، وإنهما كانا موطن اللولوبيين والكوتيين منذ منتصف الالف الثالث قبل الميلاد .[8]

الزراعة :

لاتعطي السجلات الآشورية سوى معلومات قليلة عن الزراعة وهي الفرع الرئيس للأنتاج في المناطق غير الرعوية ؛ ذلك الآن القمح والعلف كانا يستحصلان في سكان البلاد الخاضعة عن طريق نظام الضريبة الذي لم يكن ليختلف عن النظام السائد في آشور . وكانت ترد إشارات الى حقول الحنطة والأهراء بصفة إعتيادية في سياق الحديث عن إحدى المناطق التي دمرتها إحدى الحملات التأديبية ، أو عن المراكز القوية التي أنشئت في المناطق الستراتيجية الرئيسية ، وفي العلاقة بين تموين مثل هذه المراكز بالطعام والعلف . ففي مثل هذا السياق ورد ذكر :[9]

1 – **كوتموخ أوكوتمو** : وهو لفظ آرامي أطلق على منطقة كانت تقع الى جنوب شرقي آمد (دياربكر) .
2 – **اورارتو** : وهي المنطقة الواقعة حوالى بحيرة (وان) . وقد نشأت فيها مملكة مهمة إستغرقت فترة إزدهارها من عام (900 – 600 ق . م) وحاربها الملوك الآشوريون إبتداءً من الملك (آشور بيل كالا ـ 1074 – 1057 ق . م) حتى الملك سرجون بشكل مباشر أو عن طريق إضعاف تأثيرها السياسي في سوريا ، الذي إمتد الى حلب في آن واحد . لقد برهنت النصوص الكثيرة التي عثر عليها والمدونة باللغة الأورارتية أو الخلدية أو الأرمنية القديمة ـ وباستخدام علامات مسمارية على الصخور والمواد الأخرى والألواح الطينية وبقايا معابد وأسوار ومدن

ومواد مصنوعة من حجر ومعدن جميعها برهنت على أهمية الحضارة الأورارتية[11] ، وقد قرنت بعض العلماء المملكة الأورارتية أوالخلدية بالمملكة الأرمنية القديمة . وكان عاصمتها تسمى (تشبا) وتمثلها اليوم مدينة (وان) الحالية .

3 – **خبخي** : وكانت تقع الى الشمال الغربي من مصاصر ، أي الى الشمال الشرقي من خوبشكيا (بوهتان ـ جزيرة ابن عمر) على الضفة الغربية لنهر بوهتان .

4 – **زاموا** : وكان إقليماً يقع الى الجنوب الشرقي من بحيرة أورميا . وكانت (ميسي) التي ورد ذكرها مع مناي ، المنطقة الجنوبية القصوى من مات ـ مناي حيث اكتشف قوات سرجون الآشوري غابات فيها مخازن كبيرة للدقيق والخمر . ومات كلمة آشورية يقصد بها بلد أو قطر وعلى هذا يكون معنى (مات ـ مناي) هو بلد مناي . وهناك أخبار كثيرة عن مناى والمنائيين ومنها ماورد في حملة سرجون الثامنة من سنة (714 ق . م) . وكان المنائيون أحد الأقوام القديمة التي سكنت مع أقوام أخرى جبال زاگروس . وقد بسطت الدولة المنائية نفوذها على أغلب البقاع المحيطة بالبحيرة المذكورة ثم أخذ نفوذها يضعف وطمع بها جيرانها من الميديين وأخذوا يقتطعون منها شيئاً فشيئاً حتى إختفت تدرجياً في أيام سرجون وقد ذكر المنائيون في حملة سرجون وكان ملكهم حليفاً للآشوريين فاستنجد بسرجون لحمايته من الأمراء المجاورين الطامعين في مملكته .[12]

البستنة وزراعة الكروم :

وقد أشارت السجلات الآشورية بوضوح اكثر الى موضوع البستنة وزراعة الكروم . وكانت المناطق التي تمارس البستنة فيها حقول القمح أيضاً . ولقد كانت من بين المناطق التي تزرع الكروم والفاكهة في شمالي العراق .[13]

1 – **كوتموخ** : وقد أشرنا اليها ، وكان سكانها قد أرسلوا الجزية بالأشتراك مع قبائل الموشكي الذين هبطوا من آسيا الصغرى الى الشواطئ العليا لنهر دجلة في أوائل القرن الثاني عشر ق . م . وقد إستوطنوا هناك بشكل واضح . إن قبائل الموشكي هذه كانت تمارس أعمال الزراعة في أوائل القرن التاسع قبل الميلاد . وقد أطلق الرومان اسم (موشوى) على الموشكي . وعشيرة (موشيك) التي تسكن اليوم بين سعرت وديار بكر على شاطئ دجلة بقية من تلك القبائل . وتوجد بهذا الاسم (أي موشيك) قرية في (موتكيان) . ويحتمل أيضاً إن لواء موش الذي كان من بين أربعة ألوية هي (بدليس وموش وكنج وسعرت) في ولاية بدليس قبل الحرب العالمية الأولى هو بقية من ذلك الاسم [14] .

2 – **كلزان** : وقد أشرنا اليها . وكانت أحياناً ترسل الجزية سوية مع عدد من المناطق المجاورة وجدت من بينها (خوبشكيا) التي تقع على : أحد روافد دجلة . ويبدو ان هذه المنطقة كانت زراعية أيضاً .

3 – اورارتو 4 – بلد مناي 5 – خبخي 6 – زاموا . وقد اشرت اليها جميعاً فيما سبق .

الفنون الصناعية :

وكانت الفنون الصناعية ومنها النسيج وفن الصياغة هي الصفة المميزة للمناطق التي استقر فيها السكان زمناً طويلاً ، وتطورت فيها الزراعة تطوراً حسناً ، ومن بين هذه المنسوجات ؛ المنسوجات الكتانية (كيتى) والمنسوجات الصوفية (برمي) . وقد إستلام المنسوجات من بعض المناطق ومنها [15]

1 – مصاصر 2 – كلزان 3 – زاموا . وكانت المنسوجات المصبوغة باللون الأرجواني أقل شيوعاً . وقد إشتهرت المدن الفينيقية بالمنسوجات المصبوغة باللون الأرجواني [16] . وقد جاء في وثيقة من سجلات نوزي (يورغان تپه ـ تركلان ، قرب كركوك) مؤرخة من أواسط الالف الثاني قبل الميلاد عن مقايضة للمنسوجات المحلية كان من بينها منسوجات صوفية ملونة مقابل عدد من المصنوعات من بينها الصبغ الأرجواني (تاكلتو) من كنعان (لبنان وفلسطين) . وتذكر نفس الوثيقة بين المنتجات المحلية إسم (تبارو) أي الصوف المصبوغ الذي أشارت اليه سجلات سرجون وقالت إن منشأه هو أورارتو وخبخي . والمقصود هنا على وجه التأكيد هو نوع من صبغة أرجوانية معروفة منذ القدم وهي تستخلص من (القرمز) في أراضي القفقاس .

كما حصل الآشوريون على أحجار كريمة وشبه كريمة ومنها حجر اللازورد . وقد فرض الملك الآشوري تغلات پلاسر الثالث (744 – 727 . ق . م) على المناطق الشرقية من ميديا عبر جبال زاگروس والتي لها علاقات تجارية واضحة مع مناطق آسيا

الصغرى جزية مقدارها (تسعة أطنان من حجر اللازورد) . ومن المحتمل أن يكون نفس التبادل التجاري مسؤولاً عن تكديس مخازن حجر اللازورد وغيرها من الأحجار الأخرى بما في ذلك العقيق الذي سلبه جنود سرجون عندما نهبوا القصر الملكي في مصاصر .

الصناعة :

لقد تحقق وجود صناعة لصنع المواد الفضية في آشور واورارتو وخبخي . واكدت الشواهد الأثرية المستوى العالي لحرفة صنع المواد المعدنية في آشور واورارتو التي كان الاقتصاد فيها يعتمد بصفة خاصة على الزراعة وتربية الحيوانات (المواشي) . وكان البلدان يحتلان مركزاً رئيسياً في حركة النقل عبر المناطق الجبلية ، كما كان عمال المعادن فيها يهيؤون تجهيزات ثابتة من المواد الخام .

وقد ذكرت الأواني النحاسية بصراحة في مناطق كثيرة اكثر من اي منتوج حرفي آخر . ومن بين الأقطار التي ساهمت في صناعة الأدوات النحاسية :

1 – كوتموخ ، وكانت تذكر أحياناً سوية مع قبائل الموشكي .
2 – شوبريا 3 – خبخي 4 – مصاصر 5 – كلزان : وكانت أحياناً بالاشتراك مع خوبتكيا . 6 – كروري : وكانت تقع الى شرقي أربيل وذكرت سوية مع البلدان المجاورة 7 ـ كزلبندة وكانت تقع الى الشرق من (زاموا) على أحد فروع نهر (سفيد روود) الى الجنوب الشرقي من مات مناي 8 – زاموا .

وكانت الصناعة المحلية لمواد الفنون البرونزية في مصاصر قد دونتها السجلات فهنا كان النحاس يستخرج من المناجم، وكانت المصنوعات النحاسية معروفة بصفة خاصة في نطاق الجزية التي فرضت على (زاموا) . وكانت زاموا تعتمد كثيراً على النحاس استخرج محلياً . وكان الحديد من بين مواد الجزية المفروضة على عدة مناطق ومنها شوبريا وقد تقدم ذكرها وهي المنطقة الواقعة الى الشمال من دياربكر . والجدير بالذكر إن زنيفون (401 – 400ق . م) ذكر فيما بعد في كتابه الصعود (أناباسيس) المناجم الموجودة في منابع نهر دجلة . وذكر سبائك الرصاص (القصدير) والنحاس في السجلات الآشورية ؛ ففي الالف الثاني قبل الميلاد لعب النحاس والقصدير دور النقود في تجارة الشرق الأدنى ؛ وقد ورد ذكر المعدنين في السجلات التي لها علاقة ببعض المناطق مثل : 1 – شوبريا (رصاص ونحاس) 2 – مصاصر (برونز من القصر ورصاص (قصدير) ومائة وثمانية اطنان من النحاس من المعبد . وكانت مصاصر تستغل المناجم المجاورة وتستفيد من تجارة المرور . وما خلا ذلك كان معبد مصاصر مستودعاً لكنوز مملكة أورارتو .

3 – كلزان : (سوية مع خو بشكيا) (قصدير ونحاس) . 4 – زاموا (نحاس وقصدير) . 5 – أرانجا المجاورة لزاموا : تسعمائة كغم من البرونز . وكانت شوبريا وأرابخا تحتفظان بمناجم خاصة بهما ، وكانت المناطق القريبة من بحيرة أورميا ، وكلزان ومات مناي تحصل على النحاس من ذات المناجم التي تزود مصاصر بهذا المعدن .

وبخصوص أرابخا نذكر ان مدينة كركوك القديمة وهي المعروفة باسم القلعة تقوم فوق مستوطن أثري قديم ورد اسمه في الألواح المستخرجة منه باسم (أرابخا) الذي حرف حديثا الى (عرفه) وأطلق على حي العمال الجديد . وكان عدد الألواح المكتشفة من تل القلعة (51) لوحاً يرتقي تاريخها الى منتصف الالف الثاني قبل الميلاد . وقد عثر عليها في سفح التل صدفة في عام 1923 م . وأرانجا : هي الدولة الصغيرة التي ظهرت في الالف الثاني ق . م وكانت تقع على مجرى نهر العظيم أحد روافد نهر دجلة . ولعل أقدم ذكر لاسم أرانجا يرتقي الى عهد حمورابي . وقد ذكرت من المصادر الآشورية بانها مركز لعبادة الاله (أدد) . وقد ورد اسم هذه المدينة في بعض المصادر الأغريقية بصفة (أرانجيوس)[14] .

الرعي وتربية الخيول :

لم تظهر مزارع علف الخيل الّا في الأقطار التي تقوم فيها الجبال والتلال . وكان الآشوريون يأخذون من المناطق المجاورة لهم جزية مؤلفة من الخيول ومن بينها [15] :

1 – كزلبندا 2 – اليبيى (التي تعرف باسم كرمنشاه) .
3 – كاشي (وتعرف الآن باسم لورستان) 4 – نامار وأقاليم ديالى القريبة منها .وخلا مادي (ميديا) المعروفة بتربية الخيول نرى من بين الأقطار التي ترسل جزية مؤلفة من الخيول أيضاً عدداً من مناطق شمالي العراق والمناطق الجبلية ومنها :

1 – زاموا (ومعها اللابريا ، ومات مناي واليبيى ومادى .

2—مات مناي مع الأقطار القريبة منها . وتشير سجلات ملوك آشور الى عنصري الخيول التي لها قيمتها الكبيرة في أعمال الفروسية وهي الخيول المسائية mesnia التي يؤتى بها من ولاية مات مناي الجنوبية والخيول الكوسائية kusaia من الحبشة .

3—كلزان : مع المناطق المجاورة ومنها أنديا التي تقع على نهر سفيد رود الى الشرق من بحيرة أورمية . وكانت ترسل سوية مع خوبشكيا .

4—نيري : وكانت تقع عند آمد (دياربكر) مع مناطق أورارتو بصفة رئيسية . وبصدد نيري يذكر ان بلدة نيري الحالية في لواء حكاري في تركيا لا تزال تحتفظ بهذا الاسم ، ونيري موطن الشيخ عبيد الله النهري النقشبندي الشهير . ان الاكراد من سكان منطقة نيري القديمة لايزالون يطلقون على بلدة شمدينان الحالية اسم نهري (نيرى) وهي مركز قضاء [16].

وقد ورد اسم (اللابريا) في الفقرة المرقمة (1) مع زاموا ، ويمثلها اليوم وادي زردشت الأعلى والأسفل . ويعتقد المستشرق (ثورادانجن) : إن اللابريا تشمل بعض مجاري نهر ططيفو

وكانت تقع بجوار ممر (خوارزيمان زينو) التابع آنذاك لمملكة مناكا. والممر المذكور يقع على بعد 14 ميلاً غرب (مهاباد) على الطريق المؤدي الى رواندوز . وإن وادي زردشت يشرف على الممر الذي بجانبه اللابريا [17] .

ويحتمل أن بعض المناطق مثل زاموا التي كانت تحترف تربية المواشي والزراعة كانت في الوقت ذاته هي المجهز الرئيسي للمعادن . ويحتمل ان (شوبريا) كولاية زراعية كانت فيها حقول لتربية المواشي . وكانت المناطق الجبلية والسهلية هي وحدها التي تفرض أتاوة على تربية الماشية من أمثال تابال (في بلاد القفقاس) ، ونيري ومات مناي وجاراتها ، وزاموا ، وميديا وغيرها .

إن سجلات سرجون الآشوري (722 — 705 ق . م) تعتبر الأبل البكترية (إقليم يقع شرقي إيران ـ بكتريا) محلية تعود الى المناطق الشمالية الشرقية فيما وراء جبال زاگروس وتصف سجلات عهد شلمنا نصر الثالث (859 — 825 ق . م) الأبل البكترية التي تم الحصول عليها في منطقة كلزان . وقد أشير الى الجمل في سجلات شمش أدد الخامس (823 — 811 ق . م) وعلى الأخص من قوائم الجزية المستحصلة من القبائل التي تسكن الأجزاء الشرقية والشمالية الشرقية من زاگروس . ولقد أشير الى الأبل البكترية لأول مرة بكلمة (أودرو) في السجلات ومنها سجلات عهد تغلات بلاسر الثالث . وعلى هذا نستطيع أن نؤرخ قيام العلاقات بين بلدان الشرق الأدنى وقبائل سهوب (مناطق الحشائش والرعي) ميديا بالقرن الثامن قبل الميلاد . وكانت تربية الماشية واحدة من أهم فروع الأنتاج الأساسية في كل مكان ولذلك فان قائمة البلدان التي نهبت مواشيها وأغنامها وماعزها وفرضت عليها جزية مماثلة كانت واسعة جداً من الشرق الأدنى ومنها [18] :

1—قبائل الموشكي 2—كوتموخ 3—نيرى 4—شوبريا 5—أورارتو 6—كلزان 7—كروري 8—مات مناي 9—زاموا 10—اليبي 11—أرانجا 12—كزلبندا .

وكانت الجزية التي تفرض على المناطق السابقة وأمثالها في فلسطين وسوريا ومناطق شبه الجزيرة العربية وغيرها ، ضمن مايستولى عليه من المواشي والرجال والنساء .

والجدير بالذكر أن المناطق الزراعية والمناطق الغنية بالمنسوجات والمجوهرات والصناعات المعدنية كانت متلاحمة فيما بينها ، مما يؤيد الرأي القائل بأن المراكز الحرفية كانت في الوقت ذاته هي المناطق الزراعية المتطورة . ولقد لعبت مناطق تربية المواشي وحيوانات الحمل (الخيول مثلاً) دوراً في الحياة السلمية كوسائط أساسية للنقل وإستعمالها لدى جيوش كل دول الشرق الأدنى في الفترة التي تحدثنا عنها ؛ حيث كانت للعربات والخيالة وعجلات الحمل أهميتها القصوى . ولذلك لعبت القبائل التي تقوم بتربية الحيوانات في سهوب ميديا دوراً كبيراً في الحياة السياسية فيما بعد . وكانت إمكانيات المناطق الجبلية لتطوير الزراعة أقل من إمكانيات الحضارات التي قامت في سهول الأنهار ، كما انها أيضاً كانت أقل أستعداداً لتربية المواشي من المناطق السهلية ؛ ذلك ان تخصصها في صناعة التعدين قد عاد عليها بين أمور أخرى بالفائدة . لان التكاثر الموسع للتعدين لم يتعرض لأي عائق مثل العوامل الفصلية ، مثلما حدث في فرعين آخرين ونعني بهما الزراعة وتربية الحيوانات .

إن آشور إستطاعت أن تحافظ على زعامتها في السياسة الدولية في أوائل الالف الأول قبل الميلاد بفضل وضعها الجغرافي الذي

وفر لها إمكانيات أعظم لتنظيم التبادل الدولي عن طريق القوة . إن سفوح زاگروس وطوروس التي ضمتها آشور اليها في بداية توسعها كانت غنية بصناعة التعدين . وفي زمن سرجون الآشوري ازدادت الجزية المفروضة بالمقارنة مع الجزية التي فرضت على البلاد قبلاً ، وهذا يرجع الى تطور الحياة في الدولة الآشورية ونمو الحاجات الحضارية للآشوريين .

الأمور الاقتصادية والقانونية :

إن المزيد من المعلومات الخاصة بالأمور الاقتصادية والاجتماعية والقانونية جاءتنا من موقع اثري هام في شمال العراق ، وهو موقع (نوزي) . وكانت أرانجا التي تحدثنا عنها ، تقع في اقليم نشأت عدة مراكز من عهود حضارة وادي الرافدين القديمة، مثل نوزي كانت مركزاً للحوريين أو المنيانيين في الالف الثاني قبل الميلاد كما دلت على ذلك الألواح المكتوبة المستخرجة من هذا الموقع . على بعد (22 كم) وفي الجهة الجنوبية الشرقية من كركوك يقع الموضع الأثري المسمى الآن باسم (يورغان تپه) القريب من قرية (تركلان) وهو موضع المدينة نوزي . وقد نقبت فيه في عام 1925 — 1926 بعثة مشتركة من المتحف العراقي والمدرسة الأمريكية للأبحاث الشرقية ، فوجدت نحو (550) لوحة من الطين ، وإستؤنف التنقيب في 1927 إلى 1931 من جانب جامعة هارفرد الأمريكية فعثرت على بقايا بيوت سكن خارج التل وعلى مقر ومعابد في التل ، ووجدت مجموعات من ألواح الطين بعضها رسائل والبعض الآخر نصوص إقتصادية ووثائقية قانونية . وقد دلتنا الكتابات على أن نوزي كانت مستوطناً حورياً في منتصف الألف الثاني ق . م وكان الموضع مأهولاً أيضاً في عصور أقدم مثل العهد السومري والاكدي من منتصف الألف الثالث ق . م وكان اسم المدينة في تلك العهود (گاسر ـ أوغاسور Qa — sur) . والجدير بالذكر ان من بين الألواح المكتشفة لوحاً من الطين فيه خارطة قديمة لمدينة نوزى، وهي اقدم خارطة من نوعها اذ يرتقي تاريخها الى العهد الاكدي (2300 ق . م)[19] .

إن عدد الالواح الكبيرة التي تزيد عن (5000) نص تشمل من بعض الحالات على وثائق عائلة كاملة على مر فترات قد تزيد على خمسة أجيال . ومن جملة الآثار بيوت الآخوين المسميين (تخيب أو تهيب وشوركى تيللا) وفيهما وجدت (1000) رقيم . وفي غرفة من بيت (شلوى ـ تيشوب الكبير) وجدت وثيقة ، عبارة عن رسالة مهمة من شوا شطر ملك ميتاني الذي حكم في حدود 1460 ق . م [20].

ان آلاف الألواح الطينية التي تم العثور عليها جاءت من جهود البعثات التنقيبية التي كانت برئاسة (ريجارد . س . ستار وادوارد كييرا) وقد نشرت جميعها من قبل كييرا و آر . إيج فابغرو إي . أي سپايزر ، الا أن نشرها بشكل رئيسي قام به إي . آر لاجمان[21] .

والميتانيون الذين ورد ذكرهم هم من الشعوب الهندية الأوربية وقد أسسوا مملكة مهمة سميت ب(ميتاني) امتدت سيادتها على مناطق كثيرة من بلاد ما بين النهرين العليا وشمالي سوريا وقد حكم الملوك الميتانيون في عاصمتهم (واشوكاني) الواقعة قرب مصادر مياه نهر الخابور (خابور الفرات) من حوالى سنة 1500 ق . م حتى أواسط القرن الرابع عشر ق . م عندما تلاشت دولتهم بسبب ضغط الحيثيين الذين إتخذوا (ختو شش) في منطقة الأناضول الشرقية (قرب القرية الحالية المسماة بوغازكوى) وكذلك بسبب ضغط المصريين الذين تحركوا بنفس الأتجاه (شمالى سوريا) لكنها في فترة ازدهار إستولت على بلاد آشور لفترة تناهز القرنين . ويبدو ان اللغة الميتانية أو لغة الممالك التي كانت تابعة لها هي اللغة الحورية ، حيث ظهرت للحكام اسماء شخصية هندية ـ أوربية . وكانت إحدى قلاعهم في أقصى الجنوب خلال الفترة المذكورة مدينة نوزي . والجدير بالذكر ان الآشوريين شرعوا بفتح المناطق التي اتخذ فيها الميتانيون نوعاً من النفوذ خلال الفترة الطويلة هذه[22] .

بعد نشر محتويات ونصوص بعض رقم الطين قام العلماء المختصون بوضع دراسات متنوعة اتخذت الرقم المذكورة اساساً لها . ومن بين هؤلاء العلامة الألماني (كوشيكر) الذي وضع دراسة مهمة بعنوان : (التآخي والمشاركة والأمومة في الكتابات المسمارية الخاصة بالحقوق) التي نشرت سنة 1933 في برلين ولا يبزغ ، ووصل الى نتيجة مؤداها ان المجتمع العائلي الموسع في أي مكان في الشرق الأدنى كانت له مظاهر أخوية ومتعايشة مع أبوية ، ويعتقد ان التآخي كانت الصفة الأولى لمجتمع العائلة التي اختصت به أرانجا وغيرها . وطبقاً لرأيه بدأ الانتقال الى الأبوة عن طريق تقرير حق التمثيل لاول إبن مولود (أو للأخ الاكبر) في القضايا التي تتعلق بتوزيع العقارات وإعادة توزيعها .

ومنذ أن ظهر مؤلف كوشيكر الى الوجود نشرت مواد وتحريات أخرى جديدة يسرت مهمة تحديد صفة المجتمع العائلي ضمن القضايا العامة لتاريخ النظام الاجتماعي والاقتصادي في الشرق القديم. ولعل اوفر المعلومات التي نتناول المجتمع العائلي بصفة خاصة هي المعلومات التي وجدت في سجلات أرانجا . لقد كان الاكديون يمتلكون في (غاصور) حقولاً زراعية يزرعها السكان من أهل البلاد الأصليين لقاء حصص عينية ، في حين تجهز الأدوات والبذور وحيوانات الجر من قبل المستوطنة ذاتها . ومنذ أوائل الالف الثاني قبل الميلاد أبدل اسم المستوطنة الى إسم نوزا nuza أونوزي وغدت حصناً عسكرياً يضم خليطاً من السكان الحوريين والاكديين . وتضم سجلات نوزي حوالي ألفي لوح من الكتابات المسمارية كانت محفوظة في الحصن . وكان القصر يمتلك حقولاً وبساتين ومزارع للخضار ، الا أن تربية الماشية والمشاغل الحرفية هما على مايبدو كانا المصدر الرئيس للثروة فيه .

ودلت الكتابات على أن القضاة على اكثر احتمال كانوا ينتخبون من بين الكبار الذين وردت أسماؤهم في الوثائق باعتبارهم أعضاء في محكمة العدل ، وكان يشترك معهم في بعض الأحيان رئيس الحصن . ولم يكتشف السجل الملكي في أرانجا بعد ، وهي مقر الملك ولذلك لابد من الاستعانة بسجلات نوزي التي نفهم منها إن الملك هو كبير القضاة والقائد العسكري أيضاً . وكان في كل مستوطنة كبيرة في أرنجا بما في ذلك نوزي ملكتها الخاصة بها (مي ـ لوكال miluyal) وهي ـ بلاشك ـ كاهنة الهة الخصب . واكتشفت زهاء الفي وثيقة من ضواحي نوزي في ربوتين الى الشمال الشرقي من يورغان تپه وكان في إحداها (الربوة أ) يقوم بيت الأمير (شلوا تيشوب snilwa — Tisnup) الذي يتألف معظم سجله من نصوص إقتصادية . وتؤكد هذه النصوص ان أملاكه كانت واسعة إذ كان لديه الصناع والكتبة والرعاة ورجال الأحراش والعبيد والحراس وغيرهم ، وإن مقاطعته الزراعية كانت تضم الكروم والبساتين والحقول والمئات من الماشية والأغنام وعلى النقيض من ذلك كانت السجلات الاولى تعود الى مجاوري الأمير (وهم عشيرتا كيّرى kativi و أنوتيا Annutela) تعتبر بصفة رئيسية مجموعات لمعاملات قانونية خاصة مشابهة للسجلات التي تخص رئيس حصن نوزي (تخيب تيللا Tenip Tidea والتي عثر عليها في مبنى مقر المجتمع السكني في (الربوة ب) . وتكتنف سجلات نوزي حياة أربعة أو خمسة أجيال من الأرانجيين .

لم تنشر قبل سنة 1959 سوى دراسة واحدة مستفيضة خصصت للقضايا الأقتصادية في أرانجا نشرها (ف . ر ستيل F.R.stee le)[23] . وما أن نشرت وثائق نوزي القانونية حتى إجتذب نهجها الخاص أعظم مؤرخ لقوانين الشرق القديم ونعني به كوشيكر الألماني . وأوضح (ئى . أي سپايزر E.A.speiser) في مقالاته المنشورة في دوريات المدرسة الأمريكية للبحوث الشرقية منذ سنة 1930 كثيراً من الأمور المتعلقة بمعاملات المقاطعات الزراعية التي كانت تقوم على أساس ممارسة التبني الحقيقي ، وإن لاي مواطن حر حق الحصول على مساعدة له في بيته وذلك عن طريق تبني أحد الأشخاص وبهذا يجعل منه الوارث الشرعي له[24] . والملاحظ ان معاملات التبني كأبن أو أخ لم تغير بصفة أصلية سوى مضمون توريث العقار بالنسبة للعوائل الفردية الداخلة في المجتمع العائلي الموسع ، ذلك لان التعديل الجوهري الذي طرأ على القانون الساري المفعول لا يطبق الّا في الحالة التي يراد بها إدخال وريث خارجي[25] . ومن جملة الأمور الداخلية في الموضوع : موضوع الديون والأموال المنقولة والامتيازات والعقارات وملكيتها . ونفهم من الوثائق انه كان هناك جمعية وطنية لمناقشة الأمور المهمة قبل تقديم الخدمة الجماعية معاً . وقد توصل سپايزر الى نتيجة وهي ان الخدمة الالزامية كانت تخضع لها مجموعة من الاشخاص أوسع من عائلة أو أملاكها ومع ذلك وإن كان سپايزر يعترف بوجود علاقات عائلية متينة الا أنه يعتبر النظام الأجتماعي في أرنجا نظاماً إقطاعياً . ومع ذلك ان الأقتصاد العيني كان هو السائد وإن عملية فصل العوائل الفردية عن المجتمع العائلي كان يصاحبها بشكل ثابت نمو في علاقات الائتمان والأرتهان ، لانه كان من المستحيل على أية عائلة فردية أن تنفصل عن المجتمع وأن تحتفظ باملاكها المخصصة لها الا إذا إستطاعت أن تظفر بقرض ، اي بسوق سلعة دائمية تمون الحاجيات التي تحتاج اليها أمثال هذه العوائل المنفصلة نظراً لان إنتاجها الخاص بها لا يكفيها ولان إقتصاد السلع بصفة عامة لم يكن قد وجد بعد[26] . ثم أن النمو الذي أصاب إنتاج السلع وتداولها أدى الى تقويض أسس الأقتصاد الجماعي . وقد إستخدم الغرباء في المزارع ومن بينهم

اللولوبي Lullubi الأرقاء من المناطق الجبلية . وكان هناك أيضاً المدين المستعبد الذي يجبر على العمل لحساب الدائن ، ومع ذلك فان الصورة الرئيسية في إستغلال المواطنين الأحرار تكمن في وجود نظام عشائري له من روابط القربى المتشابكة في نطاق واسع مايسمح للأ قارب بتقديم الدعم للمدينين . وفي كل السجلات المدونة خلال الألف الثاني ق . م تتوفر معلومات عن التحولات الأقتصادية التي حدثت في أوضاع السكان . تلك هي الصورة العامة لمجتمع الشرق الأدنى الظاهري في أواسط الألف الثاني قبل الميلاد كما بينه التحليل الذي أجري لسجلات نوزي[27] .

المصادر

1 — العراق القديم . تاليف جماعة من علماء الآثار السوفيت ، ترجمة سليم التكريتي ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد 1976

2 — طه باقر وفؤاد سفر : المرشد الى مواطن الآثار . الرحلة الخامسة بغداد 1966

3 — طه باقر وفؤاد سفر : المرشد . الرحلة الرابعة 1965 ، بغداد .

4 — طه باقروفؤاد سفر : المرشد الرحلة السادسة بغداد 1966

5 — اوپنهايم : بلاد مابين النهرين. ترجمة سعدي فيضي ، وزارة الثقافة والاعلام بغداد 1961

6 — سيتون لويد : آثار بلاد الرافدين . ترجمة سامي سعيد الاحمد . وزارة الثقافة والاعلام بغداد 1980

7 — امين زكي : خلاصة تاريخ الكرد . الترجمة العربية ط2 بغداد 1961

8 — محمود الامين : حول حملة سرجون الثامنة . مجلة سومر م 5 ج2 (1949)

9 — محمود الامين : مسلتا طوبزاوة وكيله شين بمجلة سومر م 8 (1952) .

الهوامش

1 — كبدوكيا : وتسمى بقلياها اليوم (كول تپه) الواقع قرب قيصري في تركيا . إن الألواح المكتوبة والبالغة اكثر من (16/000) لوح نشر منها (2/000) لوح في الفترة من عام 1882 — 1963 . وقد عثر على القسم الاعظم من النصوص بواسطة الجمعية التاريخية التركية منذ عام 1948 . انظر : ليو اوپنهايم : بلاد مابين النهرين . ترجمة سعدي فيضي بغداد 1961 ص 492

2 — العراق القديم : تاليف جماعة من علماء الآثار السوفيت ترجمة سليم التكريتي بغداد 1976 ص 359 و 387 .

3 — المصدر السابق ص 388 — 389

4 — طه باقر وفؤاد سفر : المرشد الى مواطن الآثار الرحلة الخامسة بغداد 1966 ص 22 — 24

5 — المصدر السابق 6 — طه باقر : المرشد . الرحلة السادسة بغداد 1966 ص 13

7 — الفرات القديم : المصدر السابعة 392

8 — اوپنهايم : بلاد مابين النهرين ص 511

9 — مجلة سومر م 5 ج2 (1949) ص 215 — 245 (حول حملة سرجون الثامنة)

10 — العراق القديم ص 393.

11 — امين زكي : تاريخ الكرد ط2 بغداد 1961 ص 24 و 392

12 — العراق القديم ص 395

13 — الارجوان : مادة الصبغ هذه كانت تستخرج من الحيوانات اللافقرية في المدن الفينقية . وكانت تسمى (ارغمانو) اي اللون الارجواني و(تكلتو) اي اللون الارجواني البنفسجي .

14 — طه باقر وفؤاد سفر : المرشد الرحلة الرابعة بغداد 1965 ص 8 — 11

15 — العراق القديم ص 407

16 — امين زكي : المصدر السابق ص 67 و 98

17 مجلة سومر م 8 (1952) : مسلتا طوبز اوة وكيلة شين ص 53 — 71

18 — العراق القديم ص 412 — 414

19 — طه باقر وفؤاد سفر : المرشد . الرحلة الرابعة ص 8 — 11

20 — سيتون لويد : آثار بلاد الرافدين . ترجمة د . سامي سعيد الاحمد بغداد 1980 ص 206 — 209

21 — اوپنهايم : المصدر السابق ص 478

22 — المصدر السابق ص 497 . وسيتون لويد : آثار بلاد الرافدين ص 206

23 — ستيل (معاملات الملكية الزراعية في نوزي . نيوهافن 1943 م) .

24 — العراق القديم ص 359 — 365 — 25 — المصدر السابق ص. 26 — المصدر السابق ص 378 — 381

27 — المصدر السابق ص 384 — 386 .

إيضاح : إن كلمة (اللازورد) الواردة في المقال : حجر مشهور يتولد بجبال آزمينيا واجوده الصافي الشفاف الأزرق الضارب الى حمرة وخضرة يتخذ للحلي ، وله منافع في الطب . و (القرمز) : صبغ احمر ، و (القرمزية) : جنس حشرات من رتبة نصفيات الاجنحة وفصيلة القرمزيات ، منه نوع يعيش على السنديان كان يستعمل قديماً في الصباغ . انظر : المنجد في اللغة والاعلام : للويس معلوف ط 21 بيروت .